حيوانا يدب على وجه الارض ويلاصقها . ولما انتصب على قدمين اثنتين جذبته الشمس وسحره القمر والجالس عليهما في جلال ازليته .

وهذا التلاقي بين المؤمنين بالاله الواحد لا بد له ان يتحول الى حوار يتجاوز اي نظام طائفي فالنظام الطائفي لا يبتغي وحدة القوم بل ان يتراكموا . فلسطين المقبلة ، اذا استطاعت ان تعي دورها ، فرادتها في انها تقيم دولة علمانية اطارا لمجتمع جله من المؤمنين يتقابلون ليس في نطاق تهذيب زائف بل في هذا الاقرار انهم يؤلفون جماعات متمايزة في العقيدة وموحدة في بنيان الانسان المعاصر . ولا بد لهذه الجماعات ان تفتش عن الهام ذي عناصر روحية من شأنها ان تتناسق لتكون زخم هذه الشراكة الانسانية القائمة على التعدد . وقد يتطلب هذا كله ان تعيد هذه الملل النظر في مواقف لها تاريخية او تفسيرية وفي كل حال ان تجدد نفسياتها تجديدا عميقا لتتغلب على التعصب والتشنج . هذه المواجهة الدينية — الاجتماعية لن تكون سهلة وصعوبتها في تعدي الاطار الفقهي التقليدي لتعامل الديانات . ولكن لا مفر من ان يصبح المواطن في دولة حديثة كهذه عديلا لكل مواطن آخر بحيث تنفي كل فئوية او رتبية او حماية في علاقات الطوائف .

هذا ليس بعثا لتقليد عربي ولكنه عربة روحانية كثيفة انسانيتها جديدة في العالم كله قديمه وحديثه . وهذا يفقد الدولة الصهيونية كل مسوغ لها . ان اعطت فلسطين المثل على ان اتباع الاديان مقبولون في هذا المجتمع قبولا ينفي التمييز بين الاكثرية والاقليات تبيد المزاعم الصهيونية كلها . وهذا ، بالطبع ، يفوق — في معناه ومرماه — فلسطين نفسها شعبا ودولة . هذه رؤية الانسانية الجديدة ، خلاص محقق ينطلق من القدس ثانية .

اذ ذاك تكون فلسطين مختبر العرب ومثال خلاصهم . اذ ذاك العروبة عالم حب والسماحة صيغة عيش للدنيا . لا تلك السماحة المتفاضية عن أخطاء الآخرين وحسب والمتقية ، بصمتها ، كل خلاف ولكنها الرضاء عن وجود الآخر من حيث هو آخر واستمتاع فرادته .

عندئذ تبدأ مصالحتنا للغرب تلك التي لم يكن يعنيها اذا تكلم عنها ونحن نرفضها لاستكباره ونهبه . فاذا اكتشف الغرب من أدناه الى أقصاه ان العرب لا يغريهم الان فتح العالم وان لهم ان يعمروا أنفسهم وبلادهم وفق نموذج حضاري يستسيغونه ، اذا دخل الغرب بمغامرة التواضع تصبح الصيغة الفلسطينية نداء تكامل بين الشعوب ومقابسة فيأتي النور من النور واذا بالتلاقي مشاركة خبز وخلق .